خطبة : انقلاب الموازين

الخطيب: يحيى سليمان العقيلي

معاشر المؤمنين

معاشر المؤمنين

خلق الله تعالى الكون بميزان العدل والحق،

قال تعالى :{وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (7) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (8) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (9 الرحمن )

والميزان هو العدل والحق الذي ينضبط  به كلُّ شيء في الحياة ،فإذا اختّل الميزان اختل كل شيء ،

وإنّ أخطر مايصيب البشر ، ويتسبّب في الضلال والغواية ، ويدفعهم للظلم والطغيان

هو إنقلاب الموازيين ، والله جلّ وعلا جعل الميزانَ قاعدةَ إستقرار ِالحياة ،،

ولنتأمّل ماذكره القرانُ عن مآل من إنقلبت موازينهُم فضلّوا وأضلوا :

قال تعالى " ( إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون ( 29 ) وإذا مرّوا بهم يتغامزون ( 30 ) وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين ( 31 ) وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالّون ( 32 ) وما أرسلوا عليهم حافظين ( 33 ) فاليوم الذين آمنوا من الكفّار يضحكون ( 34 ) على الأرائك ينظرون ( 35 ) هل ثُوب الكفار ما كانوا يفعلون ( 36 ) )

وإنّ أخطر انقلابٍ للموازين -عباد الله - ماكان في العقيدة والإيمان ، فيُرى الإيمانُ عندها ضلالةً والشركُ هدايةً والإصلاحُ غواية ،،عندها لاتجد الهدايةُ للقلوب مسلكا ، ولايجد الايمان لها طريقا ،،،

وتدبّروا كيف أراد رمزُ الطغيان البشري فرعون أن يضلّل قومه ويَقلِبَ الحقائقَ والموازينَ للملأ حوله :

" وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ (26)

، وتأمّلوا كيف تردّى أهلُ النفاقِ لإنقلاب الموازين لديهم ، قال تعالى " الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (67)

ومن مظاهرِ اختلالِ الموازين لدى بعضَ المسلمين : اختلالُ الموازينِ في فقه الدين وفهم أحكامه ومقاصده وأولوياته ، وعدم فهمه بشموله وكماله ، كمن يقول لاعلاقة للدين بالسياسة ولابالاقتصاد ولا بقضايا الأمة ، او من يغالي ويتطرّف في فهم الدين او من يُفرِّطُ ويتسيّب ،

او من يتلبّس بلبوس العلم والدعوة ثم هو سيفٌ مسلطٌ على أهلِ الدعوة والايمان ولسانٌ رحيم على أهل الضلال والكفران ، إنقلبت لديهم موازين الولاء والبراء ، فصاروا أعزةً على المؤمنين أذلةً على الكافرين فوالوا أعداء الله وتبرّوأ من أولياء الله

أو ذاك الذي يفهم الدين عبادات فردية لنيل الثواب فقط أما حقوقَ الناس فلا يلتفت لها،

عن أبي هريرة رضى الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: ( أتَدرونَ ما المُفلِسُ؟ إنَّ المُفلسَ من أُمَّتي مَن يأتي يومَ القيامةِ بصلاةٍ وصيامٍ، وزكاةٍ، ويأتي وقد شتَم هذا، وقذَفَ هذا، وأكلَ مالَ هذا، وسفكَ دمَ هذا، وضربَ هذا، فيُعْطَى هذا من حَسناتِه، وهذا من حسناتِه، فإن فَنِيَتْ حَسناتُه قبلَ أن يُقضَى ما عليهِ، أُخِذَ من خطاياهم، فطُرِحَتْ عليهِ، ثمَّ طُرِحَ في النَّارِ) [ صحيح الجامع].

ومنها انقلابُ موازينِ الحكمِ على الناس ، بالتعجّل والحكمِ بالظاهر وعدمِ التثبت ،

او بسوءِ الظن وغلبةِ الأحقاد والضغائن على موازين الحق والعدالة ، او بعدم تغليب أحكام الشرع ومقتضيات العقيدة على المصلحة

قال تعالى " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (6الحجرات)

وقد يتسبّبَ إنقلابُ الموازيين هذا في وسدِ الأمر لغير أهله ، ووصف البعض بغير مايستحق من أوصاف التزكية والشهادة ،

عن عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ خَيْبَرَ أَقْبَلَ نَفَرٌ مِنْ صَحَابَةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالُوا: فُلاَنٌ شَهِيدٌ. فُلاَنٌ شَهِيدٌ. حَتَّى مَرُّوا عَلَى رَجُلٍ فَقَالُوا: فُلاَنٌ شَهِيدٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه و سلم: «كَلاَّ. إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ. فِي بُرْدَةٍ غَلَّهَا. أَوْ عَبَاءَةٍ» نعم عباد الله في عباءة فكيف بمن يسفك الدماء المعصومة ظلما وعدوانا ،،

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه و سلم: «يا ابْنَ الْخَطَّابِ! اذْهَبْ فَنَادِ فِي النَّاسِ أَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاَّ الْمُؤْمِنُونَ» قَالَ: فَخَرَجْتُ فَنَادَيْتُ: «أَلاَ إِنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاَّ الْمُؤْمِنُونَ». رواه مسلم.

ومنها انقلابُ موازينِ الحكمِ على المواقف

وفي الحديث الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: “سيأتي على الناس سنوات خداعات ، يُصدق فيها الكاذب، ويُكذب فيهاالصادق، ويُخوّن فيها الأمين، ويُؤتمن فيها الخائن، وينطق فيها الرويبضة

وفقنا الله للبّر والتقوى والعمل الذي يرضى ، أقول ماتسمعون وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

معاشر المؤمنين

كيف ينالُ المرءُ الموازينَ الصحيحة وينجو من إختلالها لديه ،

نقول وبالله التوفيق : إنما ينالها بتدبِّر كتاب الله ، والإهتداءِ بهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى "أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم " (14محمد )

وقال صلى الله عليه وسلم “تركتُ فيكم ما إن اعتصمتُم به فلن تَضِلُّوا أبدًا ، كتابَ اللهِ ، و سُنَّةَ نبيِّه ” صححه الألباني

ولايكون ذلك الا بالعلم النافع يتلقاه المرءُ

من العلماء العاملين ، قال تعالى " وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا (83)

كما ينالُ المرءُ صوابَ الموازين بتحرّي الحقائق ، والتّثبتِ منها وعدمِ الإنخداع بما يُثار ، لاسيما في ظل وسائل التواصل الحديثة التي يكثر فيها الغث والدعاوى الكاذبة ، فإنّما يُستدل على الحقِّ بمعرفة الحقيقة أولا ،،

تلكم هي عباد الله وسائل تحقيق العدل في وزن الأمور ومعرفة الحقيقة والحق ، وصدق الله تعالى إذ يقول " أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (22 الملك)